النتائج الأولية لمشروع جامعة وادي النيل لدراسة آثار منطقة الدامـــــــر

د. محمد أحمد عبد المجيد*

ملخص البحث

اختار مركز دراسات وأبحاث الآثار بجامعة وادي النيل المنطقة الواقعة بين قريتي الفاضلاب : (٣٣,٤٦,٥٦ ش/ ١٧,٤٤,٦٣ق) والضيقة: (١٧,٠٤,٣٥ ش/ ٣٣,٤٢,٥٥ ق) بمسافة طولية ٨٣,٢٩ كلم وعرضية ١٠كلم على ضفتي النيل بشمال السودان ميدانا لدراساته لسد النقص في المعلومات الآثارية والتاريخية في هذه المنطقة التي لم تجد حظها فى البحث الأثري ، وللمحافظة على المواقع الأثرية التي تقع في أو بالقرب من مشاريع التنمية التي تنتظم هذه المنطقة في هذه الآونة.

وقد أسفر الموسم الأول من المسح الأثري عن الكشف عن عدد من المواقع المروية ومواقع عهد ما بعد مروي وكم هائل من المواقع الإسلامية التي تنتمي لفترة دخول الإسلام السودان والفترات الإسلامية اللاحقة لها. وتقدم هذه الورقة عرض عام لهذه المواقع التي تم الكشف عنها وتاريخها ومواقعها الجغرافية وانتشارها ودورها في التاريخ الحضاري السوداني.

* مركز دراسات وأبحاث الآثار جامعة وادي النيل-السودان

المنارة للاستشارات
PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.

Abstract

The Study area of the project of Archaeological Studies & Research center at Nile Valley University located between Alfadlab: (33.46.56 N / 17.44.63 E), and Aldeiga: (17.04.35 N / 33.42.55 E), longitudinal distance of 83.29 km. and 10 km. cross on the banks of the Nile in northern Sudan.

The project established to fill the gaps in the archaeological and historical informations in this region, and to preserve the archaeological sites located in or near the developing projects that are organized this region at this time.

the results of the first season of archaeological survey are the exploring and registering of a number of sites of Meroitic and Post-Meroitic Periods. Moreover much of the Islamic sites that belong to the arrival of Islam to Sudan, and the Islamic periods subsequent to it. This paper provides an overview of the sites which have been detected, its history and geographical locations , and its role in the history of Sudanese civilization.

المنارة للاستشارات
PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.

مقدمة:

تقع منطقة الدراسة على طول ضفتي النيل بمسافة عرضية قدرت بعشرة كيلومترات على كل ضفة ، وتمتد لمسافة ٨٣ مترا بين قريتي الفاضلاب شمالا (٣٣,٤٦,٥٦ ش/ ١٧,٤٤,٦٣ق) والضيقة جنوبا (١٧,٠٤,٣٥ ش/ ٣٣,٤٢,٥٥ ق) بولاية نهر النيل بشمال السودان (الخريطة رقم ١).

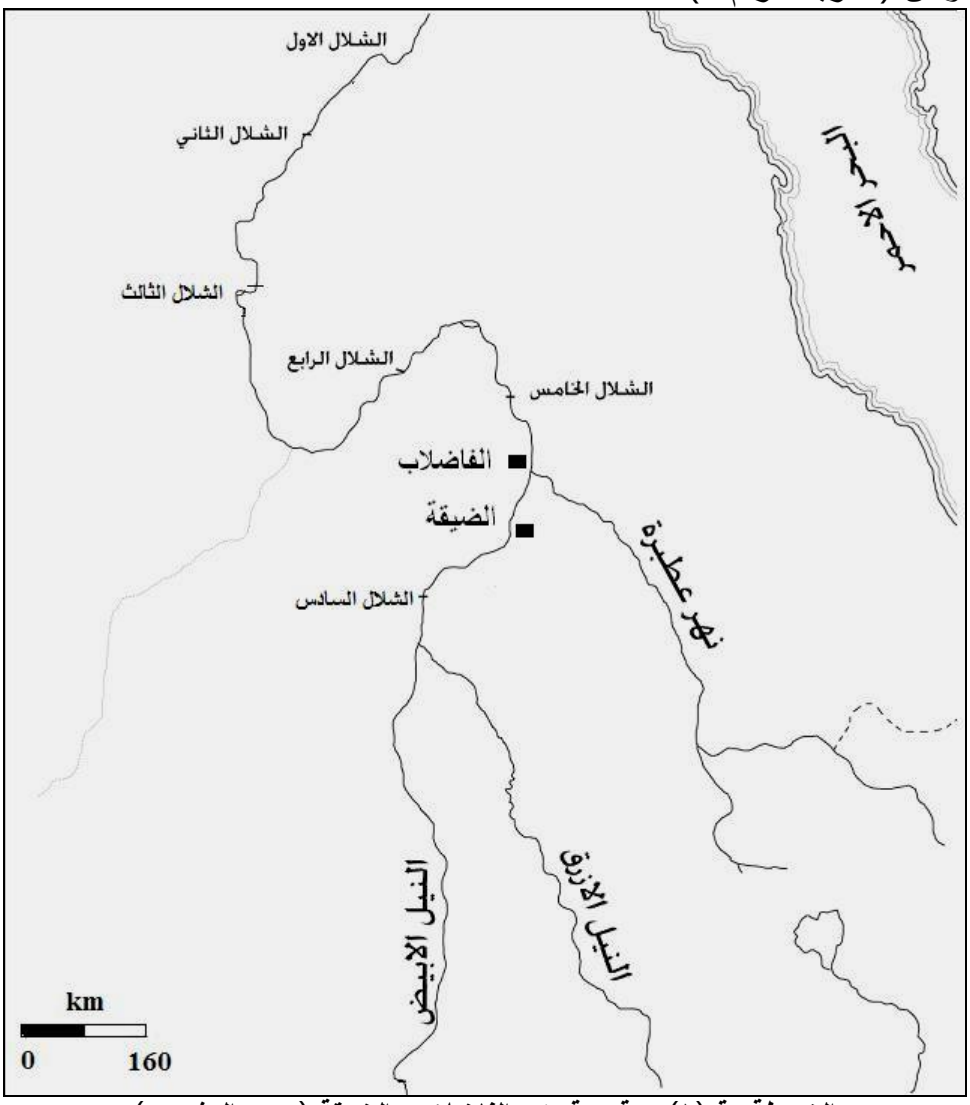

الخريطة رقم(١) موقعي قريتي الفاضلاب والضيقة (حدود المشروع)

المنارة للاستشارات
PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.

وقد إختار مركز دراسات وأبحاث الآثار بجامعة وادي النيل هذه المنطقة ميدانا لدراساتها بهدف:

١. اكتشاف وتسجيل وتوثيق جميع المواقع الاثرية بمنطقة الدراسة بطريقة علمية منتظمة.

٢. جمع وتصنيف المدونات و الروايات الشفاهية لتسجيل تاريخ المنطقة.

٣. المحافظة على المواقع الآثارية التي تقع في أو بالقرب من مشاريع التنمية الجارية.

٤. سد النقص في المعلومات الآثارية خاصة وان هذه المنطقة تقع بجوار حاضرة مملكة مروي (٥٩٠ ق.م.-٣٥٠ م)، ورغم ذلك لم تطلها يد البحث الأثري، ولذا يتوقع أن تكشف العديد من المواقع الأثرية التي من شأنها أن تسهم بمعلومات وافرة عن هذه المملكة في وجودها وبعد سقوطها.

وقد أسفر الموسم الأول من البحث الأثري الذي امتد لمدة ٢٠ يوما في مارس ٢٠٠٩م عن الكشف عن ٣٦ موقعا أثريا في الضفة اليمنى للنيل ابتداء من قرية الضيقة جنوبا حتى قرية قباتي شمالا (الصورة رقم ١). قد تم تمويل هذا المسح بواسطة جامعة وادي النيل وشارك فيه اثنان فقط من الآثارين هما كاتب هذا البحث وأ. فائز حسن عثمان.

المنارة للاستشارات
PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.

الصورة رقم (١) صورة جوية لمنطقة الدراسة والمنطقة التي تم مسحها في الموسم الأول

مواقع الآثار المروية:

على حافة المنطقة الزراعية المتاخمة للنيل بالقرب من قمة جبلية معزولة بقرية المطمر (١٧,٠٥,٣٨٧ ش/ ٣٣,٤٢,٠٤٨ ق) تم العثور على بقايا موقع مروي مسور بجدران سميكة من الحجر، يضم حطام الطوب الأحمر والفخار وحطام اعمدة من الحجر تشبه الى حد كبير المعابد التي انتشرت في الحضارة الكوشية (نبتة ومروي). وقد زار الموقع الألماني Hintze في العام ١٩٥٨م ووجد العديد من المواد الاثرية المتناثرة في الموقع منها بعض الحجارة التي نقشت عليها كتابات باللغة المروية. وقد أكد وجود بقايا معبد داخل الموقع المسور[١].

وربما يكون الموقع شبيه بمواقع مروية أخرى تقع خارج العاصمة والمراكز الكبرى مثل موقع الضانقيل الأثري الذي يقع

المنارة للاستشارات
PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.

شمال مدينة عطبرة بحوالي ٦٥ كلم. وذلك وقد كان الموقع عبارة عن أكوام كبيرة لحطام مدينة مروية. وقد كشفت عمليات التنقيب التي تجريها الهيئة السودانية للآثار والمتاحف عن وجود معبد بداخلها به نقوش للإله حابي اله النيل في الديانة المصرية القديمة، ونقوش أخرى تحمل اسم الملكة «اماني تيرى» وزوجها «نتكماني» المدفونين في مروي، ويعود تاريخيا للفترة من القرن الأول ق.م إلى القرن الأول الميلادي.(الصورة رقم ٢).

الصورة رقم (٢) صورة جوية لموقع الضانقيل أثناء التنقيب

ومن المواقع المروية الهامة التي تم الكشف عنها بمنطقة الدراسة تل ترابي ضخم ومرتفع بقرية سقادي(١٧,٠٨,٦٤٣ش/ ٣٣,٤٢,٨٤٤ق). وقد تناثرت على سطحه كم كبير من الطوب الأحمر وقطع الفخار المروي. وربما تسفر عمليات التنقيب فيه عن موقع استيطان مروي.

مواقع آثار فترة ما بعد مروي:

تتميز فترة ما بعد مروي بانتشار كثيف للمواقع الأثرية شملت جهات ومناطق عديدة، امتدت من مواقع بلانة وقستل وتنقاسي والهوبجي، الى صواني الصنقر في كردفان. وضمت مواقع عديدة على ضفتي النيل والبطانة وصحراء بيوضة. ومن الواضح جليا أن المقابر قد شكلت النسبة الأعلى بين أنواع المواقع الأثرية في فترة ما بعد مروي من حيث الكمية والانتشار.

المنارة للاستشارات
PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.

ويظهرهذا الانتشار الكثيف لمقابر فترة ما بعد مروي جليا في المنطقة التي تمسحها في الموسم الأول. وقد وضح ان كل المرتفعات والجبال التي تحيط بهذه المنطقة لا تخلوا من مقابر تعود لهذه الفترة.وهي عبارة عن تلال ضخمة مغطاة بالحجر(الصور رقم٣).

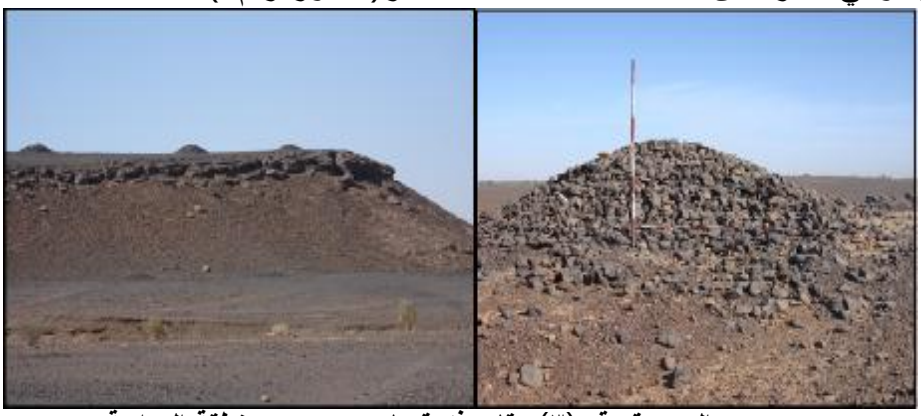

الصورة رقم (٣) مقابر فترة ما بعد مروي بمنطقة الدراسة

وتم معرفة تاريخ هذه المقابر بأنه يعود لفترة ما بعد مروي، وذلك بالمقارنة مع المقابر التي تم حفرها بواسطة David N. Edwards[٢] و M. Mallinson.[٣].

وحري بنا أن نذكر هنا ضرورة إجراء عمليات تنقيب واسعة في هذه المقابر لربما أن بعض هذه المقابر المؤرخة لفترة ما بعد مروي تعود للفترة المروية وذلك لوجود شبه نسبي في البناء الفوقي للمقابر غير الملكية التي تعود للفترتين.

أما مساكن فترة ما بعد مروي فلم يتم العثور الا على مبان حجرية متراصة، وغير منتظمة في شكلها وطريقة بنائها، تناثرت بداخلها بعض قطع الفخار التى تدل عليها (الصورة رقم ٤).

الصورة رقم (٤) مباني فترة ما بعد مروي بمنطقة الدراسة

المنارة للاستشارات
PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.

والجدير بالذكر أن هذه المباني تحتاج إلى عمليات تنقيب للتأكد من تبعيتها لفترة ما بعد مروي، إذ أن قطع الفخار المتناثر على السطح غير كاف للجزم بكفايتها لتأريخ هذه المباني.

مواقع آثار الفترة الإسلامية:

تعد المواقع الأثرية التي تعود للفترة الاسلامية في منطقة الدراسة الاميز بالمقارنة بمواقع الفترات الأخرى من حيث الكثافة والتنوع والإنتشار. فقد انتشرت العديد من هذه المواقع على طول المنطقة وتنوعت ما بين المساكن ومواقع العبادة والمقابر.

المساكن التي تم كشفها نوعين: الأول عبارة عن غرف مبنية من الحجر في شكل دائري أو مربع أسفل السلاسل الجبلية التي تحيط بالجزء الجنوبي من منطقة الدراسة (الصورة رقم ٥). ولم يتم العثور على أي مواد أثرية متناثرة في أو بالقرب منها تدل على تاريخها، غير أن الروايات الشفاهية تؤكد أن أسلاف سكان هذه المنطقة وهم من العرب المسلمين كانوا يقطنون بها. وهذا يشير الى أنها ربما بنيت في بواكير انتشار الاسلام في السودان، وربما قبل ذلك. وحتما ستكشف عمليات التنقيب عن مدى صحة هذه الروايات.

الصورة رقم (٥) مباني يعتقد بانها اسلامية بمنطقة الدراسة

اما النوع الثاني فهو عبارة عن غرفة دائرية أو مربعة أو مستطيلة الشكل مبنية من الحجر والطين أو من الطين فقط.(الصورة رقم ٦). وهذا النوع عادة ما يكون داخل المواقع السكنية الحديثة، وقد أعيد استخدام بعضها بواسطة السكان الحاليين.

المنارة للاستشارات
PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.

الصورة رقم (٦) نمازج من المساكن الاسلامية

وعادة ما يعرف سكان المنطقة أصحاب هذه المساكن وتاريخ سكنهم فيها، فيما بعد هذا التاريخ ومثال ذلك مسكن أمرأة تدعى بت أسد عاشت في فترة سابقة للعام ١٨٢١م يعرفها ويعرف مسكنها كل من بالمنطقة .

أما مواقع العبادة فهي أيضاً موجودة داخل الأحياء السكنية الحديثة ويتم استخدام جلها حتى اليوم. وهي عادة ما تكون غرف صغيرة شكلها مربع بنيت من الطين (الصورة رقم ٧). وقد كان وما زالت تؤدي وظيفة المدارس القرآنية ومواضع للصلاة الجماعية، والاحتفالات الدينية المختلفة.

الصورة رقم (٧) نمازج من مواقع العبادة

المقابر الاسلامية في منطقة الدراسة غالبا ما تكون مدافن عادية. ولكنها عادة ما تكون حول ضريح لأحد رجال الدين المعروفين، ويكون في شكل قبة. وهذه الأضرحة تختلف في شكلها كل عن الآخر قليلا. فهي عبارة عن غرف دائرية بعضها بنيت من الطين و الآخر من الطين والحجر معا. ورغم أنها تتشابه في كونها

المنارة للاستشارات
PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.

دائرية الا أن الاختلاف يأتي في طول وتر الدائرة وارتفاع القبة هذا يؤثر في شكل الأضرحة حتى تبدو للناظر اليها من الوهلة الأولى مختلفة تماما. الصورة رقم (٨)

الصورة رقم (٨) نمازج من من الأضرحة

التاريخ الشفاهي والوثائق

أكثر ما يميز هذه المنطقة عن باقي أقاليم السودان ان الذاكرة الشعبية تختزن تاريخا شفاهيا تتناقله الأجيال. ولعل أهم دوافع ذلك:

١. اعتزازهم بأصلهم العربي الذي ينسبونه في النهاية لسيدنا العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه بينما تنسبه مجموعة أخري إلى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه. وبجانب اعتزازهم بهذا الأصل فهم ينظرون إلى تاريخهم القريب (١٤٠٥-١٨٩٨ فترتي سلطنة الفونج والمهدية في السودان) بكثير من الفخر ويحكون بطولات أسلافهم كأنهم عاشوا بينهم.

٢. شهدت هذه المنطقة في فترة الفونج نشاطا دعويا إسلاميا كبيرا، وهجرات متعددة منها واليها طلبا للعلم ونشرا للدعوة الإسلامية. ويشهد على ذلك كثرة آثار المساجد والخلاوي (المدارس الإسلامية القديمة) على طول المنطقة. وهذا الأمر جعل السكان يتناقلون هذه السيرة من جيل إلى آخر.

وبالرغم من أن هذا التاريخ الشفاهي يحتاج لكثير من التدقيق والتمحيص، إلا أن جزء منه يطابق بعض الأحداث التاريخية المثبتة. وهذا الآمر ساعد فريق البحث كثيرا في فهم ودراسة عدد من مواقع الآثار الإسلامية، وجعلت إدارة جامعة وادي النيل تفكر جديا في إجراء دراسات علمية مكثفة على هذا التراث الشفاهي المنقول.

المنارة للاستشارات
PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.

أما الوثائق في هذه المنطقة فلا تخرج من اطار النسب والدين. فالملاحظ أيضا أن السكان يحرصون على الاحتفاظ بالوثائق التي تتحدث عن أنسابهم التي لا تخرج في نهايتها من الصحابيين الجليلين علي والعباس. ولكن المهم في هذا الجانب أن هذه الوثائق لا يعرف أصل لها قديم، ولا يعرف كاتبها وكيف انتقلت اليهم. وهذا أيضا يحتاج للمزيد من الدراسات.

والنوع الآخر من الوثائق، خاصة بتاريخهم الديني والدعوي. وهناك بعض الأسر تحتفظ بوثائق سابقة للقرن العشرين، وهي عبارة عن تعاليم دينية كتبت بيد رجال دين أو رسائل تداولوها بينهم.

ومن الملاحظ أن سكان هذه المنطقة ومن حرصهم على وثائقهم لا يسلمونها لأحد ويسمحون فقط بتصويرها. وهذا بالطبع لا يساعد على بقاء هذه الوثائق لفترة طويلة لافتقادها لأساليب الحفظ والأرشفة الوثائقية العلمية المعروفة.

خاتمة:

خلاصة الأمر أن الدراسة التي تمت في الموسم الأول، والتي لا تعدو أن يكون مسحا استكشافيا لجزء صغير من منطقة كبيرة، قد أعطت مؤشرات قوية بقدرتها على تحقيق الأهداف التي من أجلها قررت جامعة وادي النيل اجراء دراسات فيها. وقد نجح الموسم الأول في الكشف عن عدد كبير من المواقع الأثرية التي تعود لفترات مروي وما بعد مروي والعهد الإسلامي. ويتوقع أن يتم الكشف عن آثار تعود لفترات تاريخية أخرى مثل فترة العصور الحجرية والفترة المسيحية. وذلك قياسا على بعض الاكتشافات والدراسات التي تمت في مناطق أخرى مجاورة لهذه المنطقة من الشمال والجنوب والشرق.

أما الوثائق والتاريخ الشفاهي المتوارث فقد يساعد كثيرا في دراسة عدد كبير من مواقع الآثار وتفسير ما يعترضها من غموض، ولا سيما الآثار الإسلامية. ولكن المهم في المرحلة المقبلة وضع خطة لتدوين التاريخ الشفاهي وإيجاد سبل للحيلولة دون تلف الوثائق بسبب عدم إتباع الطرق العلمية في حفظها. وبجانب ذلك تتطلب المرحلة المقبلة وضع خطة لإنقاذ بعض مواقع الآثار المهددة بامتداد المساكن والزراعة والطرق المسفلتة ومشاريع الاستثمار الأجنبي التي تكثر في منطقة الدراسة.

المنارة للاستشارات
PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.

المراجع

1. Hintze, Fritz, Preliminary Report of the Butana Expidition 1958 in Kush vol. VIII, Sudan Antiquities Service, Khartoum, 1959, P 71.

2. Edwards, David N. , Gabati: a Meroitic, post-Meroitic and medieval cemetery in central Sudan, 1998, Archaeopress, Oxford, England.

3. Mallinson, M. , Road Archaeology in the Nile , British Museum, London,1992.

المنارة للاستشارات
PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.